

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف رحمه الله تعالى :

[ويدعو إلى صحة ما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه ببيان إحكامه وقمامه، وصدق إخباراته كلها ، وحسن أحكامه، ويبين ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الكمال البشري الذي لا يلحقه فيه أحدٌ من الأولين والآخرين ، ويتحداهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين. ويقرّر ذلك بشهادته تعالى بقوله وفعله وإقراره إياه ، وتصديقه له بالحجة والبرهان وبالتنصر والظهور ، وبشهادة أهل العلم المنصفين، ويقابل بين ما جاء به من الحق في أخباره وأحكامه وبين ما كان عليه أعداؤه والمكذبون به من الكذب في أخبارهم والباطل في أحكامهم كما يقرّر ذلك بالمعجزات المتنوعة].

قول المصنّف ويدعو أي القرآن الكريم، والجملة هنا معطوفة على ما سبق؛ لأنه فيما سبق ذكر رحمه الله أن من كليات القرآن أنه يدعو إلى توحيد الله ثم ذكر أنواع دلالات القرآن على توحيد الله ، ثم أتبع ذلك ببيان أنواع دلالات القرآن الكريم على صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

فالفقرة الأولى التي مرّت في بيان أنواع دلالات القرآن الكريم على التوحيد .

وهنا يتحدّث رحمه الله عن بيان أنواع دلالات القرآن على صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا من كليات القرآن وقرّر في القرآن كثيراً، وفي مواطن عديدة وفي أنواع كثيرة من الأدلة .
والشّيخ رحمه الله تعالى: سيشير هنا إلى شيء من أنواع دلالات القرآن على صدق ما جاء به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

قول رحمه الله: [ويدعو إلى صحة ما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه ببيان إحكامه وقمامه].

هذا نوع من أنواع الأدلة على صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ما جاء به محكم أي متقن ، لأن الإحكام هو الإتقان والإجادة فلا تناقض فيه ولا تعارض ولا اضطراب بل كلامه عليه الصلاة والسلام كلّيه من أوله إلى آخره يصدّق بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض كما قال الله تعالى {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}، ولكن لما كان الذي جاء به عليه الصلاة والسلام من عند الله فلا تناقض فيه ولا تعارض ولا اضطراب، بل يؤيد بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض، وكمالته ووفائه فهو محكم تام ، والمراد بتمام أي كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه وهذا التمام يتناول جميع ما

جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، سواء في العقائد ، أو العبادات ، أو الأخلاق . فالعقائد التي جاء بها هي أصح العقائد وأتمها وأكملها .

والعبادات التي جاء بها عليه الصلاة والسلام هي أزكى العبادات وأتمها وأحسنها .

والأخلاق التي جاء بها عليه الصلاة والسلام هي أزكى الأخلاق وأنقاها وأطيبها .

فما جاء به عليه الصلاة والسلام كله كامل مكمل في العقيدة والعبادة والأخلاق وهذا من دلائل صدق ما جاء به عليه الصلاة والسلام .

وقد قيل لأحد الأعراب بم عرفتم صدق ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام قال : لم يأمر بشيء فقال العقل السليم ليته لم يأمر به ولا نهي عن شيء فقال العقل السليم ليته لم ينه عنه .

فعندما تنظر جميع الأوامر لا تجد فيها أمراً تقتضي العقول السليمة والفطر القويمة عدم الأمر به، ولا تجد أيضاً نهي عن شيء تقتضي العقول السليمة والفطر القويمة عدم النهي عنه .

فالأوامر كاملة والنواهي كاملة، والأخبار كاملة فهذا من أدلة صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن أعظم البراهين على صدق ما جاء به حق، وكل ما جاء به محكم، وكل ما جاء به تام وكامل، لا نقص فيه بوجه من الوجوه .

بينما إذا نظر إلى الأديان الأخرى والمذاهب المتعددة ترى فيها من التناقض، والتعارض، والاضطراب الشيء الكثير وهذا من براهين ضعفها ووهائها، وفسادها بينها ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فهو محكم تام كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه .

قوله: [وصدق إخباراته كلها].

نلاحظ أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أوامر ونواهي وأخبار .

فأخباره عليه الصلاة والسلام كلها صدق .

وأوامره ونواهي عليه الصلابة والصلابة كلها عدل وحكمة . وهذا من أمارات صدق نبوته عليه الصلابة والصلابة .

ليس في أوامره أمر إلا وهو عدل وحكمة وليس في نواهيه نهي إلا وهو عدل وحكمة . وليس في أخباره خبر إلا وهو صدق كما قال الله تعالى {وَمِمَّا كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر ، أخباره كلها صادقة وهو الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} وكان قبل مبعثه معروفاً في قومه بالصلابة الأمين فيما بينه وبين الناس

أفلا يكون صادقا أميناً فيما بينهم وبين الله والأمر أعظم والمقام أشدّ وأرفع، وهذا من دلائل صدق نبوته عليه الصلاة والسلام .

ثم إنَّ كلَّ خبر يأتي به سواء عن أمور متقدمة وقصص للأولين فإنه يأتي بها صادقة مطابقة للحال كأنه شهدها وكأنه بَيَّنَّ مَرِنٌ فعلها مع أنه عليه الصلاة والسلام أمي لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك يأتيهم بأخبار الأولين ، يأتيهم بقصة آدم عليه الصلاة والسلام وقصة نوح عليه الصلاة والسلام وغيرهم ويأتيهم بتفاصيل دقيقة جداً قال تعالى: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} ومع ذلك يأتيك بالقصة كاملة وهو لم يكن معهم قال تعالى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} القصص ٤٤ فهذه الأخبار الصادقة على أيِّ شيء تدل ؟ يأتي بأخبار صادقة وافية دقيقة، والله تعالى يقول: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} ما كان عليه الصلاة والسلام يكتب ولا يقرأ ومع ذلك يأتي بتفاصيل عجيبة ودقيقة جداً عما حصل في أخبار ونبأ من قبله، وهذا من دلائل نبوته ، يكفي هذا برهانا على صدق ما جاء به ، ولما جاءهم عليه الصلاة والسلام بهذه الأخبار الشاهدة أتم شهادة والمؤكد أعظم تأكيد على صدق نبوته بدأ المشركون يمهون ويلبسون ، ومن ذلك قولهم إنَّ الذي علّمه هذا الكلام بشر قال الله تعالى {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} قالوا علمه رجل أعجمي! النبي عليه الصلاة والسلام لا يعرف لغة الأعاجم ، ذاك لسانه أعجمي وهذا لسانه عربي مبين كيف يعلمه ، فكانت هذه الأخبار التي جاءهم بها وأنباء من سبق وتفصيل قصصهم كافيه في أن يعرفوا أنه صادق عليه الصلاة والسلام لكنهم تواطئوا على البقاء على الضلال وتمالوا على التشنيع في حق الرسول عليه الصلاة والسلام، وأخذوا يرمونه بالعظائم فقال بعضهم هو ساحر ، وقال بعضهم هو كاهن ، وقال بعضهم إنَّ الذي يعلمه بشر وقالوا أقوالاً كثيرة شتى فصّدّوا أنفسهم وصّدّوا غيرهم عن سواء السبيل وإلا فهذا برهان من أعظم البراهين ودليل من أعظم الدلائل على صدق ما جاء به صلّى الله عليه وسلم .

ثم أيضاً الأنباء المستقبلية يخبر بأشياء وتقع، منها ما قد شاهدوه في أوقاته ، أخبرهم بأشياء فوقعت طبقاً لما أخبر، وأخبر عن أشياء تكون بعد قرون ووقعت طبقاً لما أخبر، وأخبر بتفاصيل دقيقة تكون يوم القيامة هذا كله من دلائل صدق ما جاء به عليه الصلاة والسلام وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فأخبره كلّها صدق . هذا معنى قوله : [وصدق إخباراته كلها]

قوله: [وحسن أحكامه] يعني الأحكام التي يأمر بها سواء منها الأوامر ، أو النواهي حسنة في غاية الحسن العبادات العقائد الآداب الأخلاق المعاملات السلوك كلّ ما يأمر به يأتي في تمام الحسن ونهاية

الكمال فهذا من دلائل صدقه عليه الصلاة والسلام أنه لا يأمر إلا بأحسن الأوامر ولا ينهى إلا عن أقبح النواهي وأضر الأمور على الناس كما قال عليه الصلاة والسلام: ((ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته إلى خير ما يعلمه لهم وأن يحذرهم من شر ما يعلمه لهم)) وقد فعل ذلك عليه الصلاة والسلام على التمام والكمال ، فهذا من براهين صدق ما جاء به عليه الصلاة والسلام .

قال رحمه الله : [يبين ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الكمال البشري الذي لا يلحقه فيه أحدٌ من الأولين والآخرين]

هذا أيضاً برهان آخر في القرآن الكريم على صدق ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ببيان كماله البشري ، وأنه عليه الصّلاة والسّلام كامل في خُلُقهِ، في عبادته، في معاملته، في تواضعه تجده عليه الصلاة والسلام أكمل البشر فهو أتقاهم لله وأكملهم عبادة وأتمهم خضوعاً لله تعالى وأعظمهم تواضعاً، فهذا من أمارات صدقه عليه الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى عنه {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} فهذه شهادة من الله له بكمال خلقه عليه الصلاة والسلام بكمال خلقه وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} وقال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً فمن نظر في خُلُقهِ في أدبه في عبادته في معاملته يجد الكمال البشري . ومن يطالع سيرته عليه الصلاة والسلام وأخبارها لا يجد شيئاً من الكمالات البشرية إلا ويجدها في الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام متممة مكّملة . هذا من البراهين البينات والعلامات الواضحات الدالة على صدق ما جاء به، أما الأخلاق الذميمة والسيئة وسفاسف الأمور لا تعرف عنه عليه الصلاة والسلام لا يعرف عنه كذب ولا يعرف عنه فحش ولا بداء، ولا غش كل هذه الأمور لا تعرف عنه أبداً، ولا لها أيّ ذكرٍ في سيرته عليه الصّلاة والسّلام أفيكون في هذه الحال بينه وبين الناس ثم يكذب على ربّ العالمين ويدعي أنه رسول ، أيمن أن يكون ممن هذا خلقه وهذا أدبه أن يدّعي أنّ الله قد أرسله وهو لم يرسله . فإذن كماله البشري دليل بيّن وعلامة واضحة على صدق ما جاء به عليه الصّلاة والسلام .

وقد جاء في السير أنّ بعض الكفار يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول ليس على وجه الأرض أبغض إليّ منك فما أن يراه ويرى أدبه ويرى خلقه ويرى معاملته إلا ويتحوّل من ساعته ومن لحظته وليس على وجه الأرض أحبّ إليه منه صلى الله عليه وسلم أليس هذا من براهين صدقه ، أليس هذا من براهين أنه رسول من رب العالمين .

قال: [لا يلحقه فيه أحدٌ من الأولين والآخرين] لأنه سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه.

قول المصنف: [ويتحداهم أن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين]

أي الله يتحداهم أن يأتوا بمثل ما أتى به عليه الصلاة والسلام، وفي القرآن آيات كثيرة فيها تحدي للكفار، وهم أهل فصاحة وأهل بيان وأهل شعر ويتحداهم في القرآن أن يأتوا بسورة من مثله ، أو أن يأتوا بآية من مثله فأعجزهم وأعياهم ولم يستطع أحدٌ منهم أن يحاكي القرآن ومن حاول منهم أضحك على نفسه العقلاء والمجانين ، فكلام النبي صلى الله عليه وسلم في فصاحته وفي بيانه في وضوحه وتماحه وسلامته من التناقض لا يمكن أن يأتي أحدٌ بمثل ما جاء به . لما ادّعى مسيلمة الكذاب النبوة . وهذا مذكور في التاريخ مثل البداية والنهاية . وغيره لما ادّعى النبوة قال له الناس إن محمدًا يوحى إليه من رب العالمين كلام واضح بينٌ محكم فماذا أوحى إليك؟ مما يدلُّ على أنك مرسل قال: يا ضفدعة بنت الضفدعين فضحك الناس فأين هذه الخزعبلات من الكلام المحكم البين الواضح الذي يأتي به الرسول عليه الصلابة والسلام ، فلا يمكن أن يأتي أحدٌ بمثل ما جاء به الرسول عليه الصلابة والسلام، لأنَّ ما جاء به وحي من ربِّ العالمين ، فهو كلام الله عزَّ وجل تكليم به ، ينزله وحياً {وَأَنَّهُ لَنَتَنَزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } أين هذا الكلام من كلام البشر؟ وقد قال بعض أهل العلم: "الفرق بين كلام الله وكلام البشر كالفرق بين الله وبين خلقه" .

إذن هذا من وجوه الدلالة على صدق ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام.

قوله: [ويقرّر ذلك بشهادته تعالى بقوله وفعله وإقراره إيّاه ، وتصديقه له بالحجّة والبرهان وبالتّصر والظهور ، وبشهادة أهل العلم المنصفين].

هذا أيضاً من وجوه الدلالة على صدق ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي شهادة الله له ، وكم في القرآن من آيات محكمات يخبر الله تعالى فيها أنّ محمّداً رسول من ربِّ العالمين ، ويعد ذلك منّة منه سبحانه وتعالى على عباده كما قال الله عز وجل {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}، وقال الله عزَّ وجل: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} فيمتن على عباده بهذه النعمة ويشهد لرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

وأيضاً يقرّره وهذا نلاحظه جيّداً فإنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث في الناس وهم في أديان شتى، منهم من يتبع دين نبي محرّف ومنهم من هو على دين مختلق، فجاءه وقال إني رسولٌ من رب العالمين ثم أخذ يحلّل ويحرّم وهذا عدل وهذا ظلم وهذا صدق وهذا كذب، وكلّ ما يقول ينسبه إلى الله ، يقول الله أرسلني بهذا وبعثني به ، ويذكر أحكام وينسخ الشرائع السابقة .

أقف معكم على قصة أعرابي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي في صحيح مسلم قال: يا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَبَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَبْزَعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قِيَالَ صَبَدَقَ (فانظر الآن كيف يستدل الأعرابي على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) قال: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ قِيَالَ اللَّهُ قِيَالَ فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ قِيَالَ اللَّهُ قِيَالَ فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَاءً جَعَلَ؟ (هذا جهده جاء من بين جبل وسما وأرض وعنده أغنامه ولا يعرف شيئاً آخر) قال: اللَّهُ. قال: فَبِأَلَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قِيَالَ: نَعِمَ. قِيَالَ وَزَعِمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمِيسَ صَبَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا؟ قِيَالَ: صَبَدَقَ. قِيَالَ: فَبِأَلَّذِي أَرْسَلَكَ (هنا بدأ يستحلفه بالذي أرسله) اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قِيَالَ: نَعِمَ. قِيَالَ: وَزَعِمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا؟ قِيَالَ: صَبَدَقَ. قِيَالَ: فَبِأَلَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قِيَالَ: نَعِمَ. قال: وَزَعِمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرٍ رَمَضَانَ فِي سَبْتِنَا؟ قِيَالَ: صَبَدَقَ. قِيَالَ: فَبِأَلَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قِيَالَ: نَعِمَ. قِيَالَ: وَزَعِمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا؟ قِيَالَ: صَبَدَقَ. قال: ثُمَّ وَلَّى قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ صَدَقَ لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ)).

وبرهان النبوة هنا حلف النبي صلى الله عليه وسلم برَبِّ السماء وربِّ الأرض وربِّ الجبال بأنه مرسل من عند الله عز وجل .

أقول : فاجأ النبي صلى الله عليه وسلم الناس وقال: إِنَّهُ مرسل من رب العالمين وأخذ يلغي الأحكام السابقة ويأمر وينهى، وهو لا يزال في علو دينه في ظهور وأمره في تمكين ، أيمن أن تكون هذه حاله وهو متقول على رب العالمين {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ} أي إن كان مفترياً على الله .

ويقول الله عز وجل: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} ما يمكن أن يفترى على الله الكذب.

ولهذا يذكر ابن القيم رحمه الله أنه دارت بينه وبين أحد النصارى مناظرة في صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام يقول ابن القيم في كتابه "الصواعق المرسلة": وكان قد جمعني به مجلس خلوة قال: قلت للنصراني لقد سببتم الله سبّة ما سبّه بها أحد من العالمين قال حاشا أن نكون كذلك . قال أنتم بإنكاركم صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لقد سببتم الله سبة ما سبه بها أحد من العالمين . قال وكيف ذلك ؟ قال ابن القيم: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم فاجأ الناس بهذا الدين وقال إنه رسول من رب العالمين وأخذ يأمر وينهى ويقرر ويخبر وينسب ذلك كلّهُ لله ودينه لا يزال في ظهور ومعاديه لا يزال في سفول وأمره لا

يزال في تمكين ، فإما أن يكون الله عز وجل رائياً له مطلعاً عليه عالماً به ، وإما أن يكون ليس مطلعاً عليه عالماً به رائياً له فماذا تقولون ؟

إن قلت إن الله ليس رائياً له عالماً به مطلعاً عليه سببتم الله سبباً ما سبه بها أحد من العالمين .
وإن قلت: نعم هو رائى له عالم به مطلع عليه فإما أن يكون قادراً على أخذه ومنعه والحيلولة بينه وبين هذا الأمر والأخذ على يده ، أو ليس قادراً عليه .

إن قلت ليس قادراً فقد سببتم الله سبباً ما سبه بها أحد من العالمين .
وإن قلت: رائى له مطلع عليه عالم به وقد تركه يفعل ما يفعل ، ويقرر ما يقرر ولا يأخذ على يده ولم يمنعه ، فقد سببتم الله سبباً ما سبه بها أحد من العالمين .

قال النصراني : حاشا أن نقول إنه كاذب بل هو نبي صادق والعقلاء منا كلهم يقولون: إنه نبي صادق .
قال: فإن كنت تقول إنه نبي صادق فما الذي يمنعك أن تتبعه وأن تعتقد دينك قال: إن موسى نبي صادق وأتباعه على حق وعيسى نبي صادق وأتباعه على حق وأنا من أتباع عيسى .
قال ابن القيم: إن أقررت أنه نبي صادق فإنه قد كفر من لم يتبعه .

قال: ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان حقياً على الله أن يدخله النار)). فإما أن يكون صادقاً في هذا الخبر فيكون نبياً ويلزمك أن تتبعه . وإما أن يكون كاذباً في هذا الخبر فلا يكون نبياً لأن النبي لا يكذب فماذا تقول ؟ قال النصراني : حدثنا في غير هذا .
وذكر في كتاب آخر في مناظرة دارت بينه وبين نصراني فاقنع النصراني بنفس الطريقة قال: ولكن من ورائي قومٌ إذا أتيتهم فرشوا لي الأرض ومكّنوني من النساء وأغدقوا عليّ الأموال وفعلوا وفعلوا إن قلت بهذا القول الذي تدعوني إليه كلّ هذا يذهب عني. قال: فقلتُ له يعوضك الله خيراً في الدنيا والآخرة .
قال: كلّ هذا يذهب عني فامتنع محافظة على رئاسته وشهوته محافظة على أكل أموال الناس بالباطل .
هذه كلها من البراهين على صدق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله رحمه الله: [ويقابل بين ما جاء به من الحق في أخباره وأحكامه وبين ما كان عليه أعداؤه والمكذبون به من الكذب في أخبارهم والباطل في أحكامهم].

هذا أيضاً نوع من أنواع الدلائل على الاستدلال على صدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عقد مقارنة بين ما جاء به عليه الصلاة والسلام وبين ما عليه الديانات الأخرى فأدنى مقارنة في العقيدة ، أو العبادة ، أو الأدب كافية في بيان صدقه صلى الله عليه وسلم .

قال: [كما يقرر ذلك بالمعجزات المتنوعة] ثم ذكر بعد ذلك المعجزات وهذا مما أيده سبحانه وتعالى به بأن أجرى على يديه الكثير من المعجزات، والمعجزة أمر خارق للعادة بقدرته الله تبارك وتعالى ومخالف

للسنة الكونية ، فيقدر الله تعالى أمورا له تخرق العادة وتجري على يديه وهي من براهين نبوته عليه الصلاة والسلام، وهذا الباب واسع وقد كتب فيه أهل العلم مجلدات بعنوان "دلائل النبوة" وأوفوا هذا الموضوع بسطاً وذكرنا لأنواع الدلائل والبراهين على صدق ما جاء به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام . والشيخ رحمه الله إنما قصد هنا الإشارة وإلا فالتوسع في ذلك له مقام آخر في كتب أهل العلم .

قال رحمه الله : [ويقرّر الله المعاد بذكر كمال قدرته وخلقه للسموات والأرض اللتين هما أكبر من خلق الناس، وبأن الذي بدأ الخلق قادر على إعادته من باب أولى ، وبأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى] .

ثم هنا أخذ يتكلم أيضاً عن شيء من كليات القرآن وهو تقرير المعاد ، وأن الناس يعودون لرب العالمين ويقومون بين يديه ، وأنه تعالى سيجازي كل عامل بما قدّم في هذه الحياة ، والقرآن تنوعت دلائله وبراهينه الدالة على المعاد وقد أشار الشيخ إلى شيء من أنواع الأدلة أي أدلة القرآن على أن المعاد حق .

قوله : [ويقرّر الله المعاد بذكر قدرته] .

وهذا نوع من أنواع الأدلة على المعاد ، أن الله قادر على كل شيء وأن الله تعالى لا يعجزه شيء، وأن من قدر على إيجاد الخلق بعد أن لم يكن أهون عليه أن يبعثه بعد أن يفنيه ، فالله قادر على كل شيء فهذا نوع من أنواع أدلة القرآن على المعاد .

قوله : [وخلقه للسموات والأرض اللتين هما أكبر من خلق الناس] .

هذا أيضاً برهان من براهين المعاد .

يقال لمنكر المعاد من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ وهذا كان يؤمن به كفار قريش إذا سئلوا من خلق السموات والأرض؟ يقولون الله . فالذي أحاطت قدرته خلق السموات وأوجدتها بعد أن لم تكن أيعجزه خلق الإنسان بعد أن يموت فهذا من دلائل البعث.

قوله : [وبأن الذي بدأ الخلق قادر على إعادته من باب أولى] .

فالذي أوجد الإنسان بعد أن لم يكن قادر من باب أولى على إيجاد بعد أن يموت وهذا نوع من أنواع أدلة القرآن على إثبات المعاد .

قوله : [وبأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى] .

وهذا نوع من أنواع دلالة القرآن على إثبات المعاد . ولنقرأ الآيات التي في آخر سورة يس لننظر ما اشتملت عليه من أنواع الأدلة على إثبات المعاد ولعلّ كثيرا مما ذكره الشيخ هنا اجتمع في تلك الآيات .

{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }.

هذان نوعان من الاستدلال :

الأول : الذي أنشأ الخلق أول مرة ينشئه بعد أن يكون رميما .

النوع الثاني : كونه بكل شيء عليم وسعت قدرته كل شيء .

{الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ}

هذا أيضاً نوع الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا هذا دليل على قدرته على بعث الأجساد بعد أن تكون رميما .

{ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ }.

هذا أيضاً نوع فخلقه للسموات والأرض هذا من براهين قدرته على إعادة الأجساد بعد موتها .

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} هذا أيضاً برهان كمال قدرته وأنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فهذا من براهين البعث ودلائله .

{ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.

هذا أيضاً برهان الذي بيده ملكوت كل شيء ، هو المالك لكل شيء والمتصرف في كل شيء بما يشاء ويقضي في خلقه بما يريد سبحانه وتعالى وهذا من براهين البعث ودلائله .

والشيخ عبد الرحمن بن سعدي أجاد وأفاد في تفسيره في بيان وجود دلاله هذه الآيات على البعث وأذكر أنه قال: أنها دلت على البعث من ستة وجوه وبينها في تفسيره عند كلامه على هذه الآيات من سورة يس .

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.